المحاضرة الثامنة :أسس الإيمان المسيحي

تمهيد :

يعتقد المسيحيون إنّ الديانة المسيحية مؤسّسة على إيمان الرسل ؛ أي مجموعة تلاميذ يسوع و خاصّة النواة الأولى التي قوامها الرجال الإثنا عشر الذين دعاهم يسوع ليتبعوه ويشاركوه في رسالته.

هؤلاء الحواريون –حسب اعتقاد المسيحيين- كانوا مقتنعين بأنّ يسوع هو المسيح الذي ينتظره اليهود ، وقد أرسله الله ليخلّصهم ، إلّا أنّ موت يسوع –كما يزعمون- تسبّب لهم بأزمة ، فتجمّعوا خوفا من اليهود و دعوا الله و تضرّعوا ملتمسين منه الهداية ، وبعد ثلاثة أيام آمنوا الواحد تلو الآخر بأنّ يسوع قام من بين الأموات ، و اختبروا بأنفسهم تلك الهداية ، فكان أوّل المؤمنين جماعات صغيرة : بعض النسوة ، ثمّ مريم المجدلية فبطرس ويوحنا ، فاثنان من التلاميذ ، ثمّ توسّع النطاق ، فآمن عشرة من الرسل ، فجماعة كبيرة بلغ عددها الخمسمائة ، وراحت تلك الإختبارات تتكرّر متقطّعة على مدى أربعين يوما إلى أن غاب المسيح عن الأنظار غيابا نهائيا.

وانتاب الرسل عند ذلك حيرة كبيرة و عاد الحواريون و معهم مريم أمّ يسوع فاجتمعوا في أورشليم و أخذوا يصلون بانتظار أن يعرفوا ما يتوجّب عليهم القيام به ، و استمرّت مدّة الخلوة و الصلاة هذه عشرة أيام حتّى إذا حلّ عيد اليهود المعروف بالعنصرة اختبروا بشدّة على نحوٍ جماعيّ عمل روح الله فيهم و أحسّوا بأن قدرة الله حلّت فيهم و ملأتهم ، وخرجوا إذ ذاك من صمتهم و قام بطرس زعيم الجماعة و راح يبشّر .

و في السنوات الأولى لم يكن للمسيحين كتب مقدّسة سوى كتاب اليهود ، ثمّ شرع بولس و الإنجيليون الأربعة و بطرس و يهوذا و غيرهم يكتبون بالتدريج صِيَغَ إيمانهم ، واعتبرت الجماعة أنّ تلك الكتابات هي قانون إيمانها و من وحي الله ، و لا بدّ من الإشارة إلى أنّ اجتماع الحواريين تضمّن الإعتقاد بأن

الجماعة نفسها نالت روح النبوّة ، ومن ثَمَّ اعتقد المسيحيون أنهم يستطيعون بمؤازرة الروح القدس أن ينشئوا كتبهم المقدّسة.

من هذا الإستعراض السريع لأسس الإيمان المسيحي نرى أنّ " إيمان الرسل" هو ما يعتبره المسيحيون نواة دينهم الثابتة و غير القابلة للتبدّل . وذلك الإيمان سبق الكتب المقدّسة في الزمن ، لا بل هو الذي أنتج الكتب المسيحية المقدّسة و حدّدها ، و لئن حصل على مرّ العصور الكثير من التغيرات و التطورات في الطرق التي عبّر بها المسيحيون عن معتقداتهم فالجماعة المسيحية بكنائسها و أفرادها تحاكم نفسها من منطلق إيمان الرسل المدوّن تدوينا نهائيا و لجميع الأزمان في العهد الجديد ، و لهذا السبب يظلّ الكتاب المقدّس ، في نظر المسيحيين ، المرجع الأساسيّ في كلّ نقاش يدور حول شؤون إيمانهم.

أوّلا : التثليث :

تعتبر المسيحية على وجه الإجمال من الديانات التوحيدية التي ترفض اتخاذ آلهة وأرباباً مع الله، وهم بهذا يشاركون الإسلام و اليهودية في عقيدة الإله ، وقد أخذت المسيحية مجمل الأفكار في قضية الألوهية عن اليهودية.

يؤمن المسيحيون بأنّ الله هو الأزليّ القدير العليم الخالق الكونَ و سائر ما فيه المحيي الرحيم الغفور السيّد المطلق ، ديّان البشرية جميعا ، القاضي بالثواب و العقاب.

لله رسالة أزلية هي حكمته أو كلمته ؛ نطقه أو تعبيره الخاصّ ، و هذه الكلمة غير مخلوقة و غير مختلفة عنه.

غير أنّ المسيحية فسّرت التوحيد تفسيرا غريبا ؛ إذ جعلت التوحيد عبارة عن ثالوث مكوّن من ثلاثة أقانيم "الآب و الإبن و الروح القدس "، وقد رأت المسيحية أنّ طبيعة الله الثالوثية سرّ ، وعليه لا يمكن التّعبير عنها بأيّ كلام بشريّ بل هي مسألة إيمانية محضة تخضع للتّسليم و الإذعان دون إعمال للإدراك أو الفهم .

و رغم أنّه لم يرد في الكتاب المقدّس كلمة " ثالوث" ، و أوّل استعمال كان لها في تاريخ المسيحية هو على لسان ثاوفيلس الأنطاكي عام 180 م ، غير أنّ المسيحيين يرون أنّ أسس الثالوث موجودة في العهد

الجديد ؛ ويعتمدون على عبارات وردت في العهد الجديد من ذلك عبارة العماد في متى : " عمّدوهم باسم الآب و الإبن و الروح القدس" .

وفي الرسائل غالبا مايكون السلام الذي يتبادله المسيحيون سلاما ثالوثيا ؛ مثال ذلك "" من بطرس رسول يسوع المسيح ، إلى المختارين بسابق علم الله الآب و تقديس الروح ليطيعوا يسوع المسيح و ينضحوا باسمه عليكم أوفر النعمة و السلام" (1 بطرس : 1/1-2)

و إنّ المسيحيين ليجدون في مبدأي الحلول و الإتحاد وصفا للعلاقة بين الآب و الإبن ، و لأجل ذلك يدعى يسوع " ابن الله" ، و لا يفهم المسيحيون أنّ المسيح وُلد ولادة جسدية ، إنّما هو لقب أطلق لتفسير الإتصال بين الله و البشرية من خلال يسوع .

أمّا الروح القدس فهو " روح الله" ، أي أنّه غير مخلوق بل يقرّون بأنّه الله نفسه و بأنه يحيا في قلوب البشر ، و هو مظهر على وجود الله القادر الفعّال في العالم ، ويسوع حُبِل به بقوّة الروح القدس.

وقد عبّرت المجامع الكنسية بأنّ الله واحد في ثلاثة أقانيم ؛ و أقانيم جمع أقنوم و هي يونانية الأصل و يمكن تعريبها بأنّها " طريقة للوجود" ، و عليه فإنّ الاقانيم هي ثلاث حالات لوجود الله و عمله.

وقد اختلف المسيحيون بعد المسيح في طبيعته، وأصل المشكلة عندهم هو ميلاد المسيح الغير طبيعي، ولأن الأناجيل كتبت في مرحلة تاريخية لم تتشكل فيها فكرة الألوهية بعد، فإن الجدل استمر حول طبيعة المسيح، أي إلى مجمع نيقيا سنة 325 للميلاد، وقد كان "**آريوس**" من القائلين ببشرية المسيح غير أن "**أنتانيوس**" كان يعارضه، وقد تم إقرار القول بألوهية المسيح خلال مجمع نيقية، وتم طرد آريوس من كنيسة الإسكندرية، وجعلوا الله مركب من إله آب وإله إبن، ثم تم طرح قضية أخرى بعد 56 سنة وهي قضية الروح القدس وهو "**حامل الكلمة التي وُضِعت في بطن العذراء**"، فصار التثليث هو سمة المسيحية وعلامتها، وصدر سنة 381 للميلاد في "**مجمع قسطنطينية الأول**"، قانون يعرف اليوم بـ "**دستور الإيمان المسيحي**"، وتم فيه الإقرار بألوهية الإله الآب و الإله الإبن و الإله روح القدس.

أ.**الآب** : ويدعو المسيحيون الله " الآب" و هو لقب يطلقه المسيحيون على الآب السماوي (مت:25/11) و هي عبارة ورثوها عن اليهود ،الذين يدعون الله اباهم و يدعون شعبهم ابن الله ؛ فقد ورد في أحد مزامير داود :" أنت ابني ، أنا يوم ولدتك" .

والمسيحيون يقصدون بالأبوّة المعنى المجازي ، منطلقين مما كتبه يوحنّا في رسالته الأولى(7/4) "كلّ محبّ هو مولود لله" ، فلا يخطر في بال احد من المسيحيين الإنجاب الجسدي بل الإشارة إلى القربى الدالّة على الإتّحاد و الحياة.

ب. التجسّد و التثليث:

غير أن المسيحية خلعت صفات الخالق على المخلوق من خلال ما يسمى بالتجسد أو التجسيد.

و التجسد مصطلح مركزي في المسيحية يقابله التنزيه في الإسلام، وبسببه نشأت العديد من الفرق: الملكانية، اليعقوبة النسطورية ، الأريوسية.

و المقصود بالتجسّد أنّ رسالة الله الأزلية وغير المخلوقة تجسّدت و سكنت بيننا في شخص الإنسان يسوع ، و عليه فإنّ يسوع المسيح لا ينقل كتابا موحى ، بل يجسّد – بحسب المسيحيين- وحي الله ، وفي ذلك اختلاف أساسي بين الإسلام و المسيحية.

ج . البنوّة :

يدعو المسيحيون يسوع " ابن الله" ، وبهذه التسمية يشيرون إلى أنّ الله أدخل يسوع في علاقة معه حميمة و فريدة ، و أنّ رسالة الله الأزلية و غير المخلوقة سكنت في يسوع ، و لقب ابن الله يشير إلى أنّ يسوع لا يعمل إلّا وفق مشيئة الآب ، وكذلك يشير إلى أنّ المسيحيين رأووا في يسوع " إسرائيل الجديد" " أي تحقيق سائر الآمال المشيحية التي راودت الشعب اليهوديّ ، وكما | انّ الشعب اليهوديّ دُعي ابن الله أي شعب اله المختار المحبوب ، فيسوع أيضا " إسرائيل الجديد" يدعوه الذين يؤمنون به " ابن الله" . ويؤكّد المسيحيون أنّ عبارة ابن الله لا تعني أبدا أنّ الله ولد يسوع ولادة جسدية.

ثانيا : عقيدة الفداء

يعتقد المسيحيون أنّ المسيح جاء لتخليص البشرية من الخطيئة الأولى ، وهي الخطيئة التي وقع فيها ابونا ءادم و أمّنا حواء –عليهما السلام- لما أكلا من الشّجرة المحرّمة ، وقد جاء ذكر الخطيئة – التي يزعم المسيحيون أنّها موروثة – في العهد القديم ؛ تك:3/1-24 ،و في القرءان الكريم أيضا حديث عن خطيئة آدم ، في مواضع كثيرة ؛ البقرة:34-38 و الأعراف :18-24 وغيرهما من المواضع.

غير أنّ المسيحيين يعتقدون أنّها **موروثة** وبسببها كان كلّ النّاس أسرى تلك الخطيئة حتّى جاء المسيح وفدى كلّ النّاس بدمه و حرّرهم بتقديم نفسه قربانا ، وقد جاء ذكر هذا صريحا في مواضع من العهد الجديد ؛ منها ما ورد في إنجيل يوحنا :16/3 " هكذا أحبّ الله العالم حتّى وهب ابنه الأوحد ، فلا يهلك كلّ من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية ، و الله ارسل ابنه إلى العالم لا ليدين العالم بل ليخلّص العالم " و جاء في رسالة بولس إلى أهل رومة 22/3-27 :" ولا فرق بين البشر ، فهم كلّهم خطئوا و حرموا مجد الله ، ولكنّ الذي برّرهم مجانا بنعمته بالمسيح يسوع الذي افتداهم ، و الذي جعله الله كفّارة في دمه لكلّ من يؤمن به ، و الله قد فعل ذلك ليظهر برّه ، فإذا كان قد تغاضى بصبره عن الخطايا الماضية ، فهو الزّمن الحاضر يظهر برّه ليكون بارّا و يبرّر من يؤمن بيسوع" ، و جاء أيضا في رسالة بولس إلى العبرانيين :26/9-28 " ولكنّه ظهر الآن مرّة واحدة عند اكتمال الأزمنة ليزيل الخطيئة بتقديم نفسه ذبيحة لله ".

ثالثا: عقيدة الصلب :

تذكر الأناجيل أنّ بيلاطس بعد أن رأى إصرار اليهود على صلب المسيح أخذه و جلده و أسلمه للصلب (مرقس 15: 14 ، متى 27 : 24-26 ، لوقا 15 : 14-15 ، يوحنا 18 :39) و تروي الأناجيل أن المسيح بعد أن ضُرب و استهزئ به أخذوه ليصلب فسار حاملا صليبه إلى مكان يسمّى " الجلجثة"، و كان المتهم المحكوم عليه يجبر على حمل صليبه عبر طريق طويل حتى موضع الصلب ، و يجبر على حمله أمام الناس كتحذير لهم ، و تروي الأناجيل الثلاثة أنّ الذي حمل الصليب هو سمعان القيرواني بينما يروي يوحنّا أنّ الذي حمل الصليب هو المسيح .

وقد تباينت الأناجيل حول ما حدث أثناء تعليق المسيح على الصليب ، فقد أورد مرقس أنّ الجند هم الذين أعطوا المسيح خمرا ممزوجة بمرّ فرفض ان يشربها بينما يقول متّى إنّ الذي أراد أن يسقي المسيح الخمر هو واحد من الذين كانوا عند موضع الصّلب أمّا لوقا و يوحنّا فلا يسجّلان شيئا عن هذا الشراب ، كما اختلفت الأناجيل في وقت الصلب حيث يبيّن مرقس أنّه في الساعة الثالثة (15: 26) أمّا يوحنا فيقول

أنّه حدث بعد الساعة السادسة (19 : 14-16) ، و تصوّر الأناجيل حال المسيح قبل تسليم الرّوح حيث ينادي المسيح " يا أبتاه في يدك أستودع روحي " (لوقا 23: 44-46).

وبعد موت يسوع جاء رجل صالح اسمه يوسف ودخل على بيلاطس وطلب منه أن يسلّمه جسد يسوع ، فاخذ جسده ولفّه في كفن نظيف ووضعه في قبر جديد كان حفره في الصّخر ثمّ دحرج حجرا كبيرا ومضى ، وكانت مريم المجدلية ومريم أم يوسي جالستين(متى:27/57-61).

وقد صار الصليب علامة على المسيحية وهو شعار كلّ مسيحي ، وكلّ من يدخل كنيسة أو مدرسة مسيحية أو بيتا مسيحيا يرى فيه دوما على الجدران صليبا علّق عليه المسيح ، فالصّليب أصبح رمزا أساسيا للمسيحيين ، ويعتقد المسيحيون أنّ وسم الصليب هو تذكير مستمرّ أنّ الله انتصر على الخطيئة و تغلّب على الموت و سائر قوى الشرّ التي تقيّد الإنسانية و تقهرها، لكن لا يرتفع تقديس الصليب على مرتبة العقائد السابقة ، لأنّ تلك العقائد أساس المسيحية أمّا الصّليب فليس له ذلك الحظّ .

رابعا : عقيدة القيام: يؤمن المسيحيون أنّ الله أقام هذا الإنسان يسوع من بين الأموات ، وبالقيامة هذه ثبّث رسالة يسوع ؛ ثبّت كلّ ما علّمه و الطريقة التي عاش بها ، و يرى المسيحيون في قيامة يسوع من الموت و عبوره على حياة جديدة انتصارا على الخطيئة و الموت .

و تتفق كلّ الأناجيل أنّ القيامة كانت الأحد و دامت ثلاثة أيام أي أنّه صُلب الجمعة و قام يوم الأحد (متى:28/1-10 ، مرقس 16 / 1-8 ، لوقا : 24/ 1 -12 ، يوحنا : 20-10). ، و تذكر الأناجيل أنّ المسيح ظهر بعد قيامته مرّتين : الأولى لمريم المجدلية حيث وقفت عند قبره تبكي فلمّا التفتت وراءها رأت يسوع واقفا و ما عرفت أنّه يسوع فاخبرها أنّه يسوع و لما يصعد بعد إلى الآب ثمّ أمرها أن ترجع و تخبر التلاميذ بأنّها رات الربّ و أنّه قال لها هذا الكلام (متى : 28 / 16-20 ، مرقس : 16/ 14-18 ن لوقا 24 / 36-49 ، يوحنا : 20/11-19).

و أمّا الثانية فظهر لتلاميذه الأحد عشر و لما رآهم قد شكّوا أمرهم أن يلمسوا يديه و رجليه لكنهم ظلوا غير مصدّقين فأمرهم ان يعطوه طعاما فناولوه سمكا مشويا فأخذ و اكل أمام أنظارهم (لوقا : 36/24-49) ثمّ أمرهم أن يذهبوا ليتلمذوا جميع الأمم ، و يعمّدوهم باسم الآب و الإبن و الروح القدس و طمأنهم أنّه سيبقى معهم طوال الأيّام إلى انقضاء الدّهر (متى : 16/28-20) و بشّرهم بأن من غفرتم خطاياه تُغفر له ومن منعتم عنه الغفران يمنع عنه (يوحنا : 20/ 23-24.)

غير أنّ إنجيل يوحنّا تفرّد بذكر ظهور ثالث خاصّ ب توما ، أحد التلاميذ الإثني عشر الملقّب بالتوأم ، و قد كان توما غائبا عندما جاء يسوع ، فلمّأ أخبره التلاميذ بأنهم راوا المسيح لم يصدّقهم إلّا بأن يرى أثر المسامير في يديه و يضع إصبعه م كان المسامير ، و بعد ثمانية أيام حضر المسيح مجلس التلاميذ و الأبواب مقفلة ثمّ قال: " لتوما هات إصبعك إلى هنا و انظر يدي و هات يدك و ضعها على جنبي و لا تشكّ بعد الآن بل آمن فأجاب توما " ربّي و إلهي " فقال له يسوع آمنت يا توما هنيئا لمن آمن و ما رأى" (يوحنا : 24/20-29) .

و بعد ذلك تزعم الأناجيل أنّ المسيح غاب و صعد إلى السماء و جلس عن يمين الرب (مرقس : 19/16-20).

خامسا : عقائد أخرى :

***النبوّة** : يحدّد المسيحيون معنى النبيّ " : هو الذي يتكلّم أو يقول ما يجول في خاطره دون أن يكون ذلك الشيء من بنات أفكاره ، بل هو من قوّة خارجة عنه ، قوة الله .

و يميّز المسيحيون بين الأنبياء و المتنبّئين ، و المتبّئون هم الذين لم يرسلهم الله و لم ينطقوا برسالة من الله ، أمّا النبوّة الصادقة عندهم هي الموحى به من الروح القدس .

ويؤمن المسيحيون بكلّ أنبياء العهد القديم و يضيفون إليهم أنبياء أعلن المسيح أنّه سيرسلهم ، ومن صفاتهم أنّهم ناس مملوؤون بالروح القدس ، وبه مسوقون وبه يتكلّمون .

أمّا الوحي الذي يوحيه الله على الأنبياء فقد كان يوحي الله قبل عيسى إلى الأنبياء أمّا مع مجيء عيسى فقد تجسّد الوحي (الكلمة) في عيسى ، و أنّ المسيح هو الذي يعبّر بذاته عن الله و يكشف عن مراده على اكمل وجه.

أمّا الكتاب المقدّس فهم يرون أنّ الله كتبها بواسطة مؤلّفين من البشر ، وعليه فهم يقولن إنّ للأسفار المقدّسة مؤلّفا غلهيا و مؤلّفا بشريا ؛ أو بعبارة أخرى فإنّ المسيحيين يرون أنّ الله ألّف الكتاب المقدّس بواسطة الروح القدس.

***يوم القيامة** : يؤمن الكاثوليك أنّ الأرواح تحاسب مباشرة بعد الموت ، وبعد المحكمة يحدّد مصيرها إن كانت صالحة صعدت إلى السماء و إن كانت طالحة نزلت إلى المطهّر ، و المطهّر مكان تتطهّر فيه جميع النفوس بعذابات لا ينجو منها أحد حتّى يصبحوا أهلا للتمتّع بالأمجاد السماوية ، أمّا الارثوكس فيرون أنّ الصالحين يرقدون الآن ينعمون بفردوس الراحة و الأشرار يتعذّبون في الجحيم إلى يوم الدينونة.

أمّا العذاب في " المطهّر" فهو على نوعين :

-الحرمان المؤقّت من مشاهدة وجه الله الكريم.

-عذاب النار الذي به تتطهّر فيه النفوس من أدرانها قبل أن تلج السماء.

يؤمن المسيحيون بالجنة و النار و بخلود النفس و بالملذات الحسية و العذاب الأخرويّ الحسيّ